

تمرير افتتاح السفارة الأمريكية بالقدس!

تحسبا لتداعيات مشهد افتتاح السفارة الأمريكية في القدس في ذكرى النكبة، افتعل نتنياهو معركة أخرى هي ارتكاب مجزرة بحق الشعب الفلسطيني في غزة شغلت الفلسطينيين والعرب، وأخذت جزءا كبيرا من اهتمامهم لتمر عملية اغتصاب القدس بسلام. وهكذا تحولت الأنظار من المشهد الرئيسي، وهو افتتاح السفارة إلى مشهد آخر تعودت عليه إسرائيل، إلى درجة أن الإضراب الشامل الذي دعت إليه منظمة التحرير الفلسطينية، والذي شمل بطبيعة الحال مدينة القدس قد جاء تضامنا مع أهالي قطاع غزة بعد المجزرة التي أودت بحياة أكثر من مئة شهيد فلسطينياً إضافة إلى إصابة الآلاف منهم في التظاهرات التي نظمتها حركة حماس في ذكرى النكبة، تزامنا مع افتتاح السفارة الأمريكية في القدس. كما أن الاجتماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب «ندد بالجرائم الإسرائيلية المنهجية واسعة النطاق التي ترتكها القوات الإسرائيلية ضد المدنيين الفلسطينيين، ودعا الأمم المتحدة لتشكيل لجنة دولية للتحقيق في تلك الجرائم». وبالفعل تبني مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة قرارا يدعو إلى إرسال لجنة تحقيق دولية مستقلة إلى غزة، وهذا النوع من اللجان هو أعلى مستويات التحقيق في الأمم المتحدة. المحصلة النهائية أن نتنياهو نجح في تمرير مشهد نقل السفارة، دونما تفجر الغضب العربي والإسلامي. أما حماس التي سبق لها وأعلنت مرارا وتكرارا أنها ترفض نقل السفارة الأمريكية للقدس، معتبرة إياه «تجاوزا لكل الخطوط الحمراء»، وأنها «لن تسمح لهذه المؤامرة أن تمر، وأن خيارات الشعب الفلسطيني ستبقى مفتوحة للدفاع عن أرضه ومقدساته»، فإنها اكتفت بما قامت به من مظاهرات. وفي هذا السياق، قال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، إسماعيل هنية، إن «دماء شهداء غزة سطرت إنجازات عظيمة على طريق الإنجاز الأكبر، وهو تحرير فلسطين»، وأضاف «إما أن يرفع الحصار كليا عن غزة، وإما أن تستمر المسيرة»، ولم ينس بالطبع أن يؤكد جاهزية حركته لحماية الوحدة الوطنية والالتزام بكل التفاهات السابقة! أما يحيى السنوار، قائد الحركة في غزة، فقال تزامنا مع تصريحات هنية إن «ملف الأسرى على رأس أولويات الحركة الآن». وفيما يتعلق بإيران، فيبدو أنها وجدت في تغيير ميدان المعركة من القدس إلى غزة ضالتها لإزعاج إسرائيل التي تتهمها بتمويل ودعم مسيرات العودة في قطاع غزة. وبينما كانت إيران قد توعدت بأن تجعل من نقل السفارة الأمريكية إلى القدس «كابوسا» لإسرائيل لن تنجو منه إلا عبر الحياة في الملاجئ، فقد سارعت باستنكار ما تقوم به القوات الإسرائيلية ضد قطاع غزة متعهدة بزيادة الدعم للفلسطينيين في القطاع، واستغلت ذلك للهجوم على بعض الدول، معتبرة إياها شريكة في الظلم الأمريكي والإسرائيلي للفلسطينيين في غزة. وهو الأمر الذي يعني أن إيران تسعى لاستغلال ساحة قطاع غزة، إلى جانب الساحة السورية، للصراع مع إسرائيل بصرف النظر عن تداعيات ذلك على التوصل إلى حل حقيقي في الساحتين بضمن حقوق الشعبين ويحميها من الضياع.

أما مصر، انطلاقا من أن مقاربتها للقضية الفلسطينية، تقوم على مبدأ ثابت هو حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية. فقد أدانت ما تقوم به إسرائيل في القطاع، وعبرت عن رفضها التام استخدام القوة في مواجهة مسيرات سلمية تطالب بحقوق مشروعة وعادلة، كما حذرت من «التبعات السلبية لثل هذا التصعيد الخطير في الأراضي الفلسطينية المحتلة»، والأهم أنها قدمت الدعم الحقيقي كعادتها للشعب الفلسطيني فاستقبلت الجرحى في مستشفياتها، وفتحت معبر رفح للتسهيل على الفلسطينيين، بعيدا عن مزایدات دول، مثل إيران، وقطر، وتركيا التي تتعامل مع القضية الفلسطينية باعتبارها ورقة للمكايمة، أو المقايضة، أو تحصيل نقاط في معارك إقليمية أخرى، أو لحسابات أيديولوجية مقبولة.

د. صبحي عسيلة